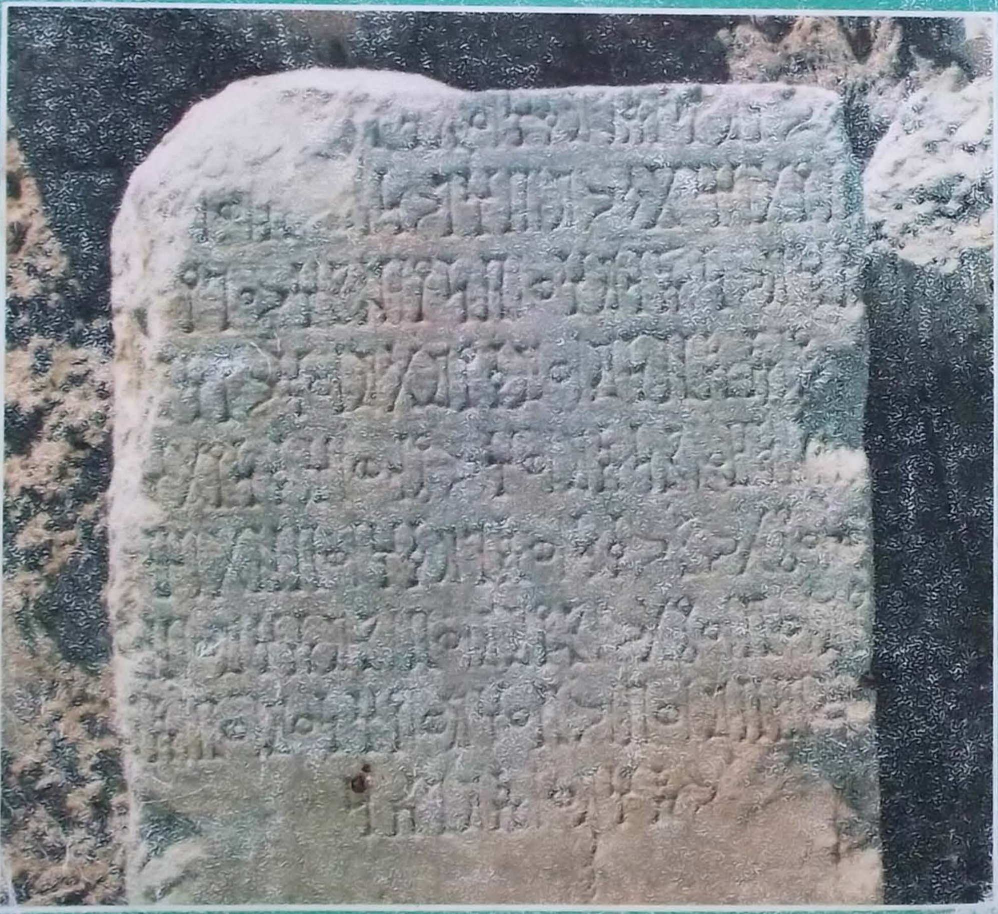
الإكليل

مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري - تصدرها وزارة الإعلام والثقافة - صنعاء

العدد الأول السنة الثانية / صيف ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م



الإكليل

مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري ـ تصدرها وزارة الإعلام والثقافة ـ صنعاء

العدد الأول السنة الثانية / صيف ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

الهيئة الاستشارية

حسب ترتيب ألف باء

التاريخ القديم:

- د. جواد علي
- مطهر علي الارياني
- د. يوسف عبد الله

العصر الوسيط وما بعده:

- د. أحمد يوسف الحسن
- القاضي اسماعيل الأكوع
- سلطان ناجي
- عبد الله البردوني
- د. عبد العزيز المقالح
- عبد الله الحبشي
- القاضي محمد علي الأكوع

رئيس التحرير:

محمود ابراهيم الصغيري

المراسلات: مجلة الإكليل

صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة

دمشق: ص.ب ١٠٩٤٠

الغلاف :

نقش يمني بخط المسند

من المرحلة الحميرية (الحديثة) .

ملاحظـــة :

لأسباب ادايـــة رات الوزارة ضرورة اعـــادة النظر في أمانة التحرير وتوسيعها . وسيحمل العدد القادم الامانـــة الجـــديدة ، التي انضم اليها أيضا الزميل محمد لطف فالب .

مُناقشات

حول ابن ماجد

علي التاجر

نص المحاضرة

تقول الحكاية ان ملاحنا الكبير أحمد بن ماجد متهم بتهمة خطيرة فظيعة ، ترقى الى مستوى الخيانة العظمى ، والعياذ بالله . متهم بأنه هو الذي قاد سفن فاسكو دي جاما من السواحل الافريقية الشرقية الى السواحل الهندية الغربية ، فجلب بذلك الدمار والاستعمار ، لا على قومه وبلاده فحسب ، بل وعلى الشرق بأجمعه . واذا ثبتت هذه التهمة ضده ، فلا يبرىء ساحته أو يشفع له « أ إن الغايات الاستعمارية لم تتضح لأي كان في ذلك الوقت » ، فالقتل قتل ، حتى ولو جاء نتيجة خطأ غير مقصود . ومع ذلك أفما كان في تصرفات البرتغاليين الشاذة منذ وصولهم الى تلك السواحل ، والارهاب الارعن الذي مارسوه ضد كل من صادفوه في طريقهم ، ثم في اجماع المواطنين على رفض التعاون معهم رفضا باتا ، ما يثير شكوكه في شأن أولئك الواغلين ، ويفتح عيونه على حقيقة أهدافهم ، وطبيعة مقاصدهم . أم نضيف الى اتهامه بالخيانة العظمى تهمة أخرى ، هي الغفلة والبلة . واذا جاز لنا أن نصدق « فران » ، فان ابن ماجد يكون قد قاد سفن البرتغال لقاء وعد بمكافأة سخية ، أي كعميل مأجور ضد قومه ووطنه .

ان المرء ليصاب بالدهشة كيف تلقى مثل هذه التهمة ، على سخفها وتهافتها ، هذا القبول والتأكيد ؟ وكيف نعتبرها مفخرة نعتز بها ، ونشيد بذكرها بمناسبة وبدون مناسبة ؟ وكيف لا نجد بين من عنوا بالكتابة عن احمد بن ماجد ، منذ انطلقت هذه التهمة من قمقم التلفيق والتحريف في سنة ١٩٢٢ حتى شارفت على

الخمسين من عمرها ، من خالجة مجرد شعور بالشك في حقيقة أمرها • ولكن لعل من الأجدر بنا قبل أن نمضي قدما في فضح حقيقتها أن نستعرض حيثياتها :

يمثل الادعاء في هذه القضية اثنان : هما الشيخ محمد بن أحمد النهروالي وقد وضع كتابه « البرق اليماني » الذي جاء فيه اتهامه لابن ماجد ، في أواخر القرن العاشر الهجري ، (حوالي سنة ١٥٧٠ م) وهذا الشيخ ، عافاكم الله ، مبتلى بمعاداته لقومه • وكتابه « يزخر بالتحامل على العرب وذمهم في أغلب الاحيان » •

والثاني : هوفران ، وهو مستشرق فرنسي تخصص في تأريخ الملاحة الشرقية ، لاسيما العربية منها • ولكن كتاباته تفتقر أحيانا الى الامانة العلمية ، وتنطوي على آراء وأحكام لاسند لها من التاريخ • (وقد انضم الى ركب النهروالي في اتهام ابن ماجد في سنة ١٩٢٢) وعلى الرغم من الفارق الزمني بينهما ، فقد امتزجت مرافعتاهما حتى أصبحتا تشكلان صحيفة اتهام واحدة • ولكننا سنحاول اقتفاء أثر كل منهما على حدة •

يقول النهروالي :

« وقع في أول القرن العاشر من الحوادث الفواجع النوادر ، دخول الفرتقال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين الى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ويلوون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال « القمر » بضم القاف وسكون الميم ، جمع أقمر أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ، ويجرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الآخر بحر الظلمات ، في مكان كثير الامواج ، لاتستقر به سفائنهم ، وتنكسر ولا ينجو منهم أحد • واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلص منهم غراب الى الهند • فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له احمد ابن ماجد ، صاحب كبير الفرنج ، وكان يقال له « المللندي » ، وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم ، لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الامواج •

فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في البحر الهندي وبنوا في كوّه من بلاد الدكن قلعة يسمونها « كوتا » ، ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هنالك ، وصارت الامدادات تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا ، ويأخذون كل سفينة غصبا الى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم أذاهم على المسافرين » •

هذه هي صحيفة الاتهام ، كما وضعها النهروالي ، ثم جاء فران فزاد في الطين بلّة والطنبور نغما • كان اتهام النهروالي لابن ماجد مجرد نصيحة من سكران لكبير الفرنجة «الملندي» ، اذ قال له « لاتقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ،

فلا تنالكم الامواج » • أما متى وأين أدلى هذا السكران بتلك النصيحة، ومن هو « الملندي » الذي القيت اليه ، فأمور على أهميتها ، لم تكن ليحفل بها النهروالي • فلما جاء فران ، استكمل تلك النواقص الهامة، فحدد مكان اللقاء في ميناء «ملندي» وحدد تاريخه بـ ٢٢ ابريل سنة ١٤٩٨م، أو خلال زيادة فاسكودي جاما لميناء «ملندي» في ذلك الشهر • وحدد شخصية « الملندي » على على أنه فاسكو دي جاما ذاته ، ولكنه حاول ان يدفع تهمة السكر عن احمد بن ماجد، ليثبت عليه اقتراف ذلك العمل الشنيع الذي «يعده مسلمو مكة خيانة عظمى» ، وهو في كامل وعيه، مالك لقواه العقلية، مدرك مغبة عمله، وزاد على كل ذلك شيئا هاما ، لم يرد في سطور النهروالي ولو تلميحا ، وهو أنه ادعى أن ابن ماجد تولي فعلا قيادة فاسكودي جاما من « ملندي » الى كليكوت •

ونحن اذا تجاوزنا مافي الاسطورة النهروالية الفرانية من لغولا طائل خلفه عن جبال القمر ومادة أصل بحر النيل في غرب افريقيا ، وعن المضيق العجيب الذي أحد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات (كيف يكون مضيقا اذا كان أحد جانبيه بحر) يبقى أمامنا أمر السفر البرتغالية التي كانت تتكسر قبل وصول البرتغاليين الى تلك المياه ، وبقيت تتكسر بعد ذلك حتى ذلك الاجتماع المزعوم بين ابن ماجد والملندي، وهومالا يقره مؤرخو البرتغال، ويبقى وصول غراب برتغالي الى الهند قبل ذلك الاجتماع المزعوم •

ان هذا الملندي الذي يقال انه اجتمع بأحمد بن ماجد في شرقي أفريقيا ، أما أن يكون فاسكودي جاما نفسه ، كما يزعم فران، واذن فاجتماعه بأحمد بن ماجد ، على فرض وقوعه ، لم يحصل الا بعد وصوله الى الهند وعودته منها • ولذلك فلا يمكن أن يكون الربان الذي تولى قيادة سفنه الى الهند ، هو أحمد بن ماجد لانهما لم يلتقيا الا بعد تلك العودة ، واما أن يكون هذا « الملندي » شخصا آخر غير فاسكودي جاما ، واذن فأحمد بن ماجد لم يقم بقيادة فاسكودي جاما ، لانه لم يلتق به ، وانما التقى بشخص آخر غيره •

قبل سنوات حاولت تفنيد هذه التهمة الجائرة ، فعقدت لها مقالة ضافية نشرها أخي واستاذي الكبير الشيخ حمد الجاسر في مجلة « العرب » ، فجاءت في ٧٠ صفحة موزعة على ٦ أعداد من أعداد السنة الخامسة للمجلة (نوفمبر ١٩٧٠ ــ ابريل ١٩٧١) •

في هذه المقالة أشرت اشارة صريحة واضحة الى أن الدكتور انور عبد العليم هو أول من تسرب اليه شك في صحة تلك التهمة • كما أشرت الى أنه كان في شكه قلقا مترددا يقدم اليه رجلا ويؤخر أخرى ، وذلك أنه بعد أن ردد في كتابه «ابن ماجد الملاح» الذي قدمه الى المطبعة في يوليو سنة ١٩٦٦م ماكان يدور على ألسنة الكتاب من أقوال مبتسرة عن صلة ابن ماجد بالبرتغاليين ، ترديد الواثق منها ، المطمئن اليها ، طلع علينا ، في الكتاب ذاته بموقف جديد يتميز بالشجاعة والاستقلال، فأعلن عن تشككه في صحة تلك الاقوال ولكنه

بعد أقل من عشرة أشهر على تلك الشكوك ، لم يلبث أن عاد الى ايمانه السابق بتلك الاقوال التي سبق أن شك فيها •

انه لا يستقيم على حال، فهو يبرم وينقض، ثم يعود الى ابرام ما نقضه من قبل • فبعد أكثر من اثني عشر عاما ، أصدر كتابا جديدا سماه « الملاحة وعلوم البحار عند العرب » عاد فيه الى معالجة قضية ابن ماجد مرة واحدة •

وكنا في مقالتنا الآنفة الذكر ، أول من وصف رواية النهروالي عن احمد بن ماجد ، بالاسطورة في أكثر من موضع ، لابل جعلنا منها عناوين فرعية لبعض فقرات تلك المقالة ، ثم نقدناها نقدا موضوعيا كشف عمافيها من «خلط وتشويش واضطرابوأخطاءتاريخية وجغرافية» ونفينا نفيا قاطعا أن تكون لابن ماجد صلة بفاسكودي جاما أو بأي برتغالي آخر غيره ، فجاء الدكتور ، في كتابه الجديد يؤكد لنا في سنة ١٩٧٩ ما سبق أن قلناه في سنة ١٩٧٠ • قال حفظه الله ، بعد أن وصف ارشاد ابن ماجد المزعوم لفاسكودي جاما بالاسطورة •

« والواقع أننا بعد قراءتنا لمؤلفات ابن ماجدوأراجيزه ، ومنها الراهمانجات الثلاث ، متقدمة الذكر ، بتمعن ، يمكننا أن نقرر بكثير من الثقة والاطمئنان ، بأن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحي لمراكب دي جاما ، ولا لغيره من الاميرالات البرتغاليين الذين أبحروا من ساحل أفريقيا الشرقي الى الهند •• وقال عن رواية النهروالي « ان الخلط يبدو واضحا في مقال النهروالي ، سواء بالنسبة للحوادث المكانية أو الزمانية » •

وأحسب أن في هذه النماذج كفاية لما في كتاب الدكتور الجليل من اصالة علمية • وقد أعود للحديث عما أخذه عنا في كتابه ، في فرصة أخرى • ولكني قبل أن أودع الدكتور الجليل في هذه المناسبة أود اشير الى ان ما اتسمت به اسطورة النهروالي من تخليط وتخبيط ، قد أثر على قلمه تأثيرا بليغا كما يبدو ذلك جليا من الفقرة التالية :

بدأ الصدام مع البرتغال في المحيط الهندي مبكرا ، ففي عام ١٥٠٥ م (٩١١ هـ) أبحرت من السويس حملة بحرية مصرية من لخمسين سفينة بقيادة الامير حسين الكردي صحبتها جماعة كبيرة من التجارين والبنائين لتحصين ميناء جدة وانشاء الابراج اللازمة للدفاع عنها اذا داهمها البرتغال ، وفي نفس الوقت (أي سنة ١٥٠٥ م ــ ٩١١ هـ) كان أسطول البوكرك قد غادر المياه الهندية واستولى على جزيرة سقطرة وأغار على عدن ، وعبر باب المندب ، بقصد الاتصال بملك الحبشة للتحالف معه ضد المسلمين ، ثم حاول الوصول الى جدة ، فعلم أن الاسطول المصري بها ، فسارع بالانسحاب من البحر الاحمر ، وتبعه اسطول حسين الكردي لمطاردته ، وتمكن من انزال الهزيمة به على سواحل الهند في موقعة شوال سنة ١٥٠٨ م غير أن نجدة وصلت البرتغال وتمكنوا من هزيمة الاسطول المصري في خليج ديو DIO في فبراير ١٥٠٩ م ــ ٩١٥ هـ • ثم استولى البرتغال على

ميناء جوا GOA سنة ١٥١٠ م ، بيد أن محاولاتهم المتكررة لبسط النفوذ الى البحر باءت كلها بالفشل .

« وفي نفس السنة التي تم فيها تحرير اليمن من النفوذ البرتغالي (كذا) وهي سنة ٩١٧ هـ استولى العثمانيون على مصر بقيادة سليم الاول وسقطت دولة المماليك » .

ونتساءل كيف جاء البرتغاليون الى اليمن، حتى يمكن تحريرها منه في سنة ٩١٧ هـ ، اذا كانت محاولاتهم المتكررة لبسط نفوذهم على البحر الاحمر قد باءت كلها بالفشل .

ولكني لن احاول في هذه المناسبة مناقشة هذه المزاعم واظهار ما تنطوي عليه من تخليط وتخبيط لان المجال لا يتسع لهذه المناقشة أولا، ولان أمرها خارج عن موضوعنا على كل حال ثانيا ، ولان تفنيدها يضطرني الى الدفاع عن البوكرك لتبرئته من تهمة الاغارة على عدن وعبور باب المندب في ذلك التاريخ أي في سنة ١٥٠٥ م ولتبرئته من الاشتباك مع الاسطول المصري في موقعة شوال في سنة ١٥٠٨ أوفي أية موقعة أخرى ، وفي أي تاريخ سابق أو لاحق لتاريخ تلك المعركة .

لن احاول مناقشة هذه المزاعم في هذه المناسبة ، وانما استشهدت بها كمثل على مدى عنايتنا بما نتولى معالجته من قضايا تاريخية .

ومع كل هذا فأنا مسرور ومغتبط من هذه النتيجة فقد تضاعف عدد المؤمنين ببراءة أحمد ابن ماجد من تلك التهمة الجائرة ، لقد كانوا واحدا ، فأصبحوا اثنين .

هذا هو أول الثلاثة أيها السادة .

أما الثاني ، فهو الدكتور الجليل عبد الهادي التازي .

عقد المؤتمر الثاني للدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية في الدوحة في سنة ١٩٧٧م . وقد حضره أخي وزميلي الاستاذ عبد الله ابو عزة نائب مدير مركز الوثائق والدراسات ، وقد حدثني مشكورا أحد الاساتذة ، وأنا أجهل أسمه حتى هذه الساعة ، طرح في احدى جلسات المؤتمر ، قضية ابن ماجد على النحو التقليدي المألوف ، وقرر أن ابن ماجد هو الربان الذي قاد سفن فاسكودي جاما من شرقي افريقيا الى كليكوت . وقد انبرى للرد عليه الاستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي التازي ، مدير معهد البحر العلمي في الرباط بالامس ، وسفير المغرب لدى الجمهورية الاسلامية الايرانية اليوم . وقال في رده : ان التاجر قد فند هذه الاسطورة وقضى عليها قضاء لا قيام لها بعده .

هذا الموقف الشجاع من الدكتور الجليل قد زاد في غبطتي وسروري ، لا لانه أشاد بدفاعي المتواضع عن أحمد بن ماجد فحسب، وانما لانه زاد في عدد المؤمنين ببراءة أحمد بن ماجد من تلك التهمة الظالمة . فأصبحوا الآن ثلاثة : عالمان جليلان هما : الدكتور أنور عبد العليم ، والدكتور عبد الهادي التازي ــ والداعي لكم بالخير وطول العمر .

أما الثالث فهو الاستاذ الكريم محمد جابر

الانصاري الذي نشر في أحد أعداد مجلة الدوحة البحرية » • وقد استرعى اهتمامي من مقالة مقالا قيما بعنوان « ابن ماجد ، وتراث حضارتنا المقطع التالي الذي يعزوه الى « كستانهيدا » •

« وصل القائد فاسكودي جاما الى مالندي على الساحل الشرقي من افريقيا شمال مدغشقر في ١٥ مارس ١٤٩٨ وأرسى في فرضتها فصعد الى سفينته مسلمون ، منهم مسلم اسمه أحمد بن ماجد • وقد دهش دي جاما لسعة علم الملاح المسلم عندما أراه خريطة الساحل الهندي كله ، وعليها خطوط الطول والعرض وبالتفاصيل •• ثم دعا فاسكودي جاما الملاح المسلم ابن ماجد ليشاهد الاسطرلاب الكبير الذي كان يحمله على سفينته ، وآلات فلكية أخرى ، فلم يعجب الملاح لما رأى • وأنبأ دي جاما أن للملاحين العرب آلات متقنة مصنوعة من غير مثال ما بيد البرتغال •• ثم أطلعه على آلة له مؤلفة من ثلاث لوحات • فلما رأى دي جاما قيمة هذا الكنز الذي ظفر به ، أحب الاحتفاظ بهذا المعلم المسلم ، وأقلع متوجها الى الهند في ٢٤ ابريل • فاجتاز البحر الكبير دون أن يلقى في طريقه عقبة أو مشقة ، بفضل ارشاد الملاح العربي ابن ماجد » •

ان الذي أثار هواجسي في البداية ودفعني للشك في صحة تلك التهمة الظالمة ، قبل وقوفي على اسطورة النهروالي ، وقبل اطلاعي على النص الانجليزي لصنيع فران بتلك الاسطورة ، هومالاحظته من عدم ورود اسم ابن ماجد على لسان أحد من الكتاب والمؤرخين البرتغاليين الذين عاصروا فاسكودي جاما وكتبوا عنه بالتفصيل • وبعضهم كان قد صحبه في رحلته الاولى الى الهند ، وكلما ازداد تتبعي للموضوع نمت شكوكي وربت في صحة تلك التهمة ، حتى أفضيت بها ذات يوم في الشام لاخي وشيخي العلامة حمد الجاسر فحثني على الكتابة في الموضوع ، ثم تفضل فأرسل الي بعد عودتي الى دبي ، نسخة مصورة من مخطوطته لتلفيقات النهروالي ، أرسلها لي على يد أخي واستاذي العلامة أحمد راتب النفاخ ، الذي تكرم فاستنسخ المتن المصور ، بخطة الواضح الجلي ، حتى لا تستعصي على قراءة الاصل • وما أن وقفت على اسطورة النهروالي •

ثم وقفت بعد ذلك على مقالة فران فيما يسمى بدائرة المعارف الاسلامية ، وتدبرت ما صنعه بتلك الاسطورة من تحريف وتلفيق ، وكيف باضت على يديه وفرخت ، حتى تأكدت ظنوني • وأيقنت أن تلك التهمة الظالمة •

❋

الفهرس

* * *

الاكليل

مجلة فصلية تصدر أربع مرات في السنة

بدل الاشتراك السنوي :

للأفراد : ٤٥ ريالاً يمنياً او ما يعادلها في داخل اليمن (شمالاً وجنوباً) بما فيها اجور البريد .

للمؤسسات : ١٧٥ ريالاً يمنياً بما فيها أجور البريد .

يتم التسديد بموجب شك او حوالة لأمر وزارة الاعلام والثقافة صنعاء ـ مجلة الاكليل .

سعر النسخة :

صنعاء : ٩ ريالات يمنية .

دمشق : ٨ ليرات سورية (او ما يعادلها) .

طبعت في :

مطبعة الكاتب العربي

دمشق ـ شارع خالد بن الوليد

هاتف ١١٩٧٣٨٠

مطبعة الكاتب العربي ـ دمشق
☏ ١١٩٧٢٨ ـ ص.ب ١٠٦٩٢